سيرة الشهداء

الشهيد القائد «تيسير محمود الجعبري»:

مسيرة جهاد توّجت بوسام الشهادة

الوفاق/ خاص

ميلاد قائد

ولد الشهيد في ١٨ يناير/كانون الثاني للعام ١٩٧٢م، ونشأ في أحضان أسرة مسلمة كريمة معروفة بالتزامها وكرمها وجهادها في سبيل الله. عُرف بحنانه الكبير على والديه اللذين أحبهما وأحباه، فكان باراً بهما ومطيعاً لهما ويعمل على إرضائهما، عاش بين إخوته وأخواته محباً لهم حنوناً وعطوفاً عليهم. شديد الحرص على صلة أرحامه الذين منعه الوقت من وصلهم فكان دائم السؤال عنهم وعن أحوالهم فيطمئن عليهم.

سجل جهادي مشرف

في شهر مارس من عام ١٩٩٠م اعتقلت قوات الاحتلال الصهيوني القائد تيسير الجعبري في سجن أنصار (٢)، وخلال مكوثه في السجن التحق بصفوف حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين. بعد الاعتقال وخلال انتفاضة الحجارة نشط في العمل الجهادي ضد الاحتلال الصهيوني وفي العام ١٩٩٨م كان الشهيد مسؤولاً عن الإطار الطلابي لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين . وفي منتصف التسعينات كان أحد مجاهدي وحدة الاستشهاديين في الجناح العسكري السابق لحركة الجهاد الإسلامي " قسم ". ومع بداية انتفاضة الأقصى برز في محطات مهمة في العمل العسكري والتنظيمي، إذ تولى قيادة كتيبة جديدة في سرايا القدس لمدة عامٍ ونصف، وبعدها تم تكليفه من قيادة سرايا القدس نائباً لقائد لواء غزة الشهيد القائد بهاء أبو العطا (أبو سليم).

قائد المنطقة الشمالية في سرايا القدس

وفي أعقاب اغتيال قائد أركان المقاومة الشهيد أبو العطا باستهدافه من قبل طائرات الاحتلال الصهيوني في عام ٢٠١٩م، تقلد الشهيد قيادة المنطقة الشمالية في سرايا القدس، وقاد تطوير قدرات السرايا في هذه المنطقة، وأشرف على ذلك بنفسه. وقد تعرض الشهيد لمحاولتي اغتيال في عامي ٢٠١٢م و٢٠١٤م، ونجا في محاولة الاغتيال الأولى حيث كان برفقة الشهيد القائد "أبو العطا". حقق الشهيد خلال عمله في صفوف سرايا القدس والمهام الأخرى التي تقلدها إنجازات عديدة في العمل العسكري نذكر بعضاً منها: أشرف على إعداد وتجهيز الوحدات العسكرية وتطوير القدرات الصاروخية في سرايا القدس. وقاد العديد من المعارك و جولات المواجهة التي خاضتها سرايا القدس ضد المحتل الصهيوني، أبرزها معركة صيحة الفجر البطولية وبأس الصادقين ومعركة سيف القدس. وخلال المعركة الأخيرة كان الشهيد صاحب دور بارز وهام فيها، إذ أشرف على ضربة "الكورنيت" التي افتتحت بها "سرايا القدس" المعركة واستهدفت فيها جيب قيادة للعدو شرق بيت حانون شمال قطاع غزة.

موعد مع الرحيل

في الخامس من أغسطس/آب ٢٠٢٢م ارتقى الشهيد إثر قصفٍ صهيوني غادر، حيث استهدفت طائرات الاحتلال الحربية برج فلسطين في حيّ الرمال وسط مدينة غزة، وارتقى برفقته رفيق دربه القائد سلامة عابد.

في ذكراها الخامسة والسبعين:

نكبة فلسطين.. بدأتها فرنسا وأكملت فصولها بريطانيا

الوفاق/ خاص

لم تبدأ نكبة ٤٨ قبل ٧٥ عاماً بل بدأت سياسياً قبل أكثر من مئتي عام، ففي عام ١٧٩٩ م استعصت أسوار مدينة عكا الفلسطينية على "نابليون بونابرت" فاتجه تفكيره الاستعماري ضد توسع بريطانيا ووجه نداءً إلى يهود العالم: " أيها الإسرائيليون إنهضوا فهذه هي اللحظة المناسبة، إنّ فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملةً إرث إسرائيل، سارعوا للمطالبة بإستعادة مكانتكم بين شعوب العالم"، تحول نداء نابليون إلى خبرٍ رئيسٍ في الصحف الفرنسية، هُزم نابليون ولم يبق من ذكراه في عكا سوى مجسمٍ يقف على تلةٍ سميت بإسمه، لكن فكرة نابليون بإنشاء وجودٍ يهودي في المنطقة لم تمت بعد أربعين عاماً أعادت بريطانيا ذات الفكرة.

لماذا بريطانيا تحديداً؟ لأنّ قيام الكيان المؤقت مرتبط في أساسه بالدعم البريطاني منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى من قبل صدور وعد بلفور الشهير الذي يعتبر المحرك الأول لوقوع النكبة، كانت هناك سلسلة طويلة من الخطط والمشاريع والمؤتمرات التي مهدت لنشأة الكيان المؤقت وأدت فيها بريطانيا دوراً محورياً لم يكن للحركة الصهيونية أن تتقدم لولاه. فكيف أسهمت بريطانيا في نشأة هذه الكيان؟

السياق التاريخي وصولاً إلى وعد بلفور

اهتمت بريطانيا منذ منتصف القرن التاسع عشر بفكرة إنشاء وطن قومي لليهود فوجود قوة صديقة بالقرب من قناة السويس يصبُ في مصلحة الإمبراطورية العظمى الرامية إلى ترسيخ نفوذها في المنطقة وتأمين سيطرتها على المعابر البحرية التي تصلها بمستعمراتها في شرق أسيا خصوصاً مع تدهور الدولة العثمانية. أخذ سياسيون بريطانيون يروجون لفكرة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" ، كما كانت الحركة الصهيونية تنشط في بريطانيا كغيرها من جماعات الضغط السياسي حيث تمثلت أحلامها في إقامة وطن في فلسطين يهاجر إليه اليهود خاصةً أولئك الذين يعانون من الاضطهاد في روسيا ودول شرق أوروبا، وأدرك قادة الصهيونية أنّ أقوى أمل في إقامة دولة يهودية في فلسطين هي بريطانيا . تقول رسالة لرئيس منظمة الصهيونية العالمية حاييم وايزمن إنه إذا وقعت فلسطين ضمن دائرة النفوذ البريطاني وشجعت بريطانيا الاستيطان اليهودي هناك فقد يكون لدينا في غضون ٢٠ إلى ٣٠ عاماً مليون يهودي هناك وسيشكلون حرساً فعالاً للغاية لقناة السويس. لذلك عمل وايزمن على إنشاء روابط مع قادة بريطانيين منهم الدبلوماسي "مارك سايكس" ووزير الخارجية المستقبلي "آرثر بلفور"، ومع توالي هزائم الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وقعت بريطانيا وفرنسا اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم المنطقة بينهما على أن تكون فلسطين تحت إدارة دولية، لكن "سايكس" كان يدفع باتجاه إنجاح مشروع الصهاينة في فلسطين وتخطي الإدارة المشتركة مع فرنسا ومهد لذلك بإصدار الرسالة المعروفة وعد بلفور في نوفمبر / تشرين الثاني ١٩١٧ والتي نصت على أنّ بريطانيا تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين على ألاّ يجري أي شيء قد يؤدي إلى الانتقاص من الحقوق المدنية والدينية للجماعات الأخرى المقيمة في فلسطين، وُصفت الرسالة بأنها وعدٌ من لا يملك لمن لا يستحق لأنّ بريطانيا لم يكن لها أي حق قانوني أو سياسي في فلسطين وتُعتبر هي الممهد الرئيسي لفتح باب هجرة اليهود على مصراعيه وقيام الكيان المؤقت، لاحقاً بعد شهر من وعد بلفور سقطت الدولة العثمانية ودخلت القوات البريطانية القدس في ١١ ديسمبر / كانون أول عام ١٩١٧م وعُقد مؤتمر "سان ريمو" الذي تقاسمت بموجبه بريطانيا وفرنسا المنطقة ليبدأ عهد الانتداب البريطاني في فلسطين على مدى ٣٠ سنة.

الدوافع الفعلية البريطانية لوعد بلفور

قبل وعد بلفور كان الحديث عن إنشاء وطن قومي لليهود قديمًا. فلم تكن فلسطين هي الخيار الأول المقترح رغم مزاعم الارتباط اليهودي بفلسطين، فقد اقترح رئيس الوزراء البريطاني "تشامبرلين" العريش في صحراء سيناء المصرية؛ بينما اقترح بلفور أوغندا، والذي قوبل بالرفض من المؤتمر الصهيوني السادس بدعوى أنّ أوغندا لن تجذب اليهود للهجرة إليها. تلا ذلك مجموعة من الخيارات شملت "كندا، والأرجنتين، وجنوب أفريقيا وغيرها"، قوبلت جميعها بالرفض من الصهاينة.

ولكن ما يثير الدهشة أنّ "بلفور" كان معاديًا لليهود، وكان يرغب في التخلص منهم، فحين تولى رئاسة الوزارة البريطانية في الفترة من ١٩٠٣ وحتى ١٩٠٥ شن هجومًا على اليهود المهاجرين لبريطانيا لرفضهم الاندماج مع شعبها. فشرع قوانينَ تحد من هجرتهم إليها خوفًا من الخطر الذي قد يلحقونه ببلاده.

لذلك رأى في ترحيل اليهود إلى فلسطين فرصة للتخلص من الهجرة اليهودية لأوروبا وطردهم خارجها، لفشل اليهود في الاندماج بأي مجتمع يعيشون فيه مثل: "بريطانيا وألمانيا وفرنسا والنمسا وإسبانيا"

فقد وجدت هذه الدول عدم قابلية اليهود للتعايش؛ والذي يرجع إلى إيمان اليهود وعقيدتهم أنّ بقية البشر من غير دينهم خلقوا لخدمتهم، وفقًا لـ"بروتوكولات حكماء صهيون". علاوة على ما سبق ذلك من تحذيرات الرئيس الأميركي جوزيف فرانكلين عام ١٧٨٩م من أنّ اليهود هم الخطر القادم إلى بلادهم.

كما كان للعامل الديني تأثيرٌ لا يمكن إغفاله، وكان للاهتمام بالإنجيل وصورة الأرض المقدسة باعتبارها مهبط الكتاب المقدس، ومنشأ مملكة إسرائيل القديمة أثره في سلوك رئيس الوزراء "ديفيد لويد جورج" تجاه اليهود. فهو صاحب التأثير الأكبر في صدور إعلان بلفور؛ وكان يستخدم مصطلحات وعبارات من الإنجيل عند تحدثه عن فلسطين.

بريطانيا والتمهيد للنكبة

استخدمت بريطانيا كل ما يمكن لوضع فلسطين في حالة سياسية وإدارية واقتصادية تسمح بإنشاء وطن قومي لليهود، دعمت شراء الوفود الصهيونية للأراضي الفلسطينية من أجل بناء المستوطنات مّا أدى إلى تهجير عشرات آلاف الفلسطينيين قسراً من بيوتهم وفرضت ممارسات تمييزية واضحة ضد الفلسطينيين أدت إلى صعوبة أوضاعهم الاقتصادية ومنعتهم من حمل السلاح في حين سمحت لليهود بذلك بدعوى أقلية تحتاج للدفاع عن النفس، تدريجياً تحول اليهود من أقلية دينية إلى جماعة لها ثقلها العددي في فلسطين، في المقابل لم تتوقف مقاومة الفلسطينيين للمشروع الصهيوني وتشكلت منظمات فلسطينية سرية شبه عسكرية كانت إحداها بقيادة الشيخ عز الدين القسام الذي استشهد على يد قوات بريطانية، أشعل مقتل "القسام" فتيل الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٨) التي استمرت ثلاث سنوات، وقمعتها بريطانيا بالقتل والتجويع والتعذيب والتنكيل الجماعي والاعتقال التعسفي.

النكبة... القصة الكاملة

عانى الفلسطينيون من بطش العصابات المسلحة الصهيونية التي تلقت التدريب والدعم من الجيش البريطاني ووصل عددها إلى أربعين ألفاً، تحول الثقل السياسي هذه الفترة من بريطانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية إثر جهود الحركة الصهيونية في استمالة الزعامات الصهيونية عن طريق رأس المال والدعاية، ومع تراجع دور بريطانيا أحيلت مسألة فلسطين إلى الأمم المتحدة التي خرجت بخطة لتقسيمها خصصت ٥٥ ٪ من مساحة أراضي فلسطين لليهود الذين كانوا يسيطرون على أقل من ٧ ٪ فقط، وقتها قوبلت الخطة برفضٍ فلسطيني عربي وبترحيب صهيوني، أمّا على الأرض فقد سيطر الصهاينة على عشرات المدن والقرى الفلسطينية وطردوا سكانها الفلسطينيين من بيوتهم بالقوة تحت أعين سلطات الانتداب البريطاني، وبعد نحو ثلاث عقود من الانتداب البريطاني على فلسطين أُعلن عن قيام الكيان المؤقت، أُستخدم تعبير النكبة لوصف عمليات التهجير القسري الجماعي التي قامت بها العصابات الصهيونية لطرد أكثر من ٧٥٠ ألف فلسطيني من أصل مليون ونصف تقريباً من بيوتهم وأراضيهم في فلسطين وإحلال اليهود مكانهم، في سبيل ذلك ارتكبت العصابات الصهيونية التي أمدتها بريطانيا بالسلاح والدعم، أكثر من ٧٠ مجزرة بحق الفلسطينيين تُصنف في إطار جرائم الحرب وجرائم الإبادة الجماعية كمجازر دير ياسين والطنطورة، فقد سيطرت العصابات الصهيونية على ٧٧٤ قرية ومدينة فلسطينية ودمرت ٥٣١ منها بالكامل وطمست معالمها الحضارية والتاريخية وما تبقى تم إخضاعه إلى كيان الاحتلال وقوانينه، وبهذا أصبح أكثر من ثلاثة أرباع مساحة فلسطين التاريخية تحت الاحتلال الإسرائيلي.

النكبة والتي يصادف ذكراها الـ٧٥ هذه الأيام، تعود ذكراها هذه السنة فيّما تواصل سلطات الاحتلال عمليات التطهير العرقي والتهجير القسري للفلسطينيين في الضفة الغربية والقدس المحتلتين، وتنكرها لحقوقهم الوطنية والإنسانية، وحقهم في إقامة دولتهم المستقلة وعاصمتها القدس، وأيضًا حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم. وتشهد الأراضي الفلسطينية المحتلة اليوم أحداثًا وتطورات مفصلية في مواجهة الاحتلال والتصدي لمخططاته الاستيطانية والتهويدية، وتحديدًا في مدينة القدس والداخل المحتل، ومحاولته طمس الهوية الفلسطينية العربية، وتشويه النضال الفلسطيني.

قبل وعد بلفور كانت هناك سلسلة طويلة من الخطط والمشاريع والمؤتمرات التي مهدت لنشأة الكيان المؤقت وأدت فيها بريطانيا دوراً محورياً لم يكن للحركة الصهيونية أن تتقدم لولاه

كتب تاريخية

«تقسيم فلسطين: من الثورة الكبرى ١٩٣٧-١٩٣٩ إلى النكبة ١٩٤٧-١٩٤٩»

الوفاق/ وكالات

في كتابه "تقسيم فلسطين: من الثورة الكبرى ١٩٣٧-١٩٣٩ إلى النكبة ١٩٤٧-١٩٤٩" الذي صدر عن "مؤسسة الدراسات الفلسطينية"، يعود الباحث والأكاديمي الفلسطيني وليد الخالدي إلى تقرير اللجنة الملكية البريطانية (لجنة بيل) الذي نشر عام ١٩٣٧، ويقترح إنشاء ثلاثة أقاليم في فلسطين؛ إقليم تحت الانتداب البريطاني يضمّ بيت لحم، ودولة يهودية، ويتحد جزء مع شرق الأردن ويكونا دولة عربية.

ويضيء الكتاب كيف تراجعت بريطانيا عن هذا الاقتراح بعد قمعها الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٩م، وصولاً إلى إصدار "الكتاب الأبيض" الذي دعا إلى إقامة وطن قومي لليهود في دولة فلسطينية مستقلة في غضون عشر سنوات، كما حددت الاستيطان اليهودي بخمسة وسبعين مهاجراً خلال خمس سنوات، على أن يتم تحديد المسألة من قبل الأغلبية العربية، إلى جانب منع اليهود من شراء الأراضي العربية في جميع المناطق باستثناء ٥ ٪ من أراضي الانتداب. كما يتناول الفصل الأول ضغوط الرئيس الأميركي هاري ترومان على الحكومة البريطانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ من أجل فتح باب الهجرة الجماعية اليهودية إلى فلسطين، ثم إعادة تبنيه تقسيم فلسطين، لتحيل بريطانيا القضية الى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، التي قامت بدورها بإرسال لجنة خضعت توصياتها للضغط الأميركي من أجل التقسيم، ثم تعود الولايات المتحدة عن قرارها وتدعو إلى الوصاية الدولية على فلسطين في آذار/مارس ١٩٤٨، وأعقب ذلك دعم أميركي مطلق للعصابات اليهودية انتهى باعتراف رسمي بالدولة اليهودية بعد إحدى عشرة دقيقة من إعلان قيامها. في الباب الثاني، يستعرض الخالدي نكبة فلسطين من خلال تحليله الروايتين العربية والإسرائيلية لمسار الحرب، والعلاقات بين الدول العربية عشية النكبة، وميزان القوة وتشكيلات قوات الطرفين، ومرحلة القتال الأولى وإنقاذ القدس الشرقية، ثم الهدنة الأولى فالقتال مرة ثانية، والهدنة الثانية التي قادت إلى مفاوضات الهدنة الدائمة بين "إسرائيل" وكلّ من مصر والأردن وسورية ولبنان في الخامس من كانون الثاني/ يناير عام ١٩٤٩. يوضّح الكتاب أنه على الرغم من أن تيودور هيرتزل؛ مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة؛ وضع كتاباً بالألمانية سنة ١٨٩٦ بعنوان "دولة اليهود" فقد ظلت "المنظمة الصهيونية العالمية التي أسسها سنة ١٨٩٧ في مدينة بازل في سويسرا، حتى بعد أن تبنّتها بريطانيا، كبرى الدول الاستعمارية الغربية، في وعد بلفور (١٩١٧)، وحتى بعد قيام النظام الانتدابي الاحتلالي (١٩٢٢)، ظلت تُنكر كذباً وتدليساً وتمويهاً، أنّ غايتها تأسيس دولة يهودية على أنقاض الشعب الفلسطيني.